لم أتعرف على أبي

حنين الصليفي

دار أحرفنا المنيرة

لم أتعرف على أبي

اسم الكتاب: لم أتعرف على أبي.
اسم المؤلف: حنين الصليفي.
مقاس الصفحة: ١٧ × ٢٤ سم.
عدد الصفحات: (٣٠صفحة).
تصميم وتنسيق: مجرد بداية.
إشراف: دار أحرفنا المنيرة.

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ

لم أتعرف على أبي

للكاتبة حنين الصليفي

الإهداء

إلى كُل من كان يُريدُ أباه، ولكن الله لم يرد ذلك...

استيقظتُ كعادتي في كل يوم، لكن هذا اليوم يختلف نوعًا ما

لا أعلم الاختلاف فيما تحديدًا،

من مدّة ليست بكثيرة كان هُناك حلمًا يُراودني من حينًا إلى آخر، الحلمُ ذاته راودني هذا الصباح، لم أُحدث بهِ أحدًا، ربما هو الاختلاف الذي حدث لي،

صحوتُ مُسرعًة إلى المرآة لمشاهدة وجهي الذي لا أمل من مُشاهدته، وفي هذه المرة لم أُشاهدةُ بنفس دافع كل مرة، ذلك الشخص الذي يأتي في حلمي لم يكن ذا ملامحًا واضحة ولكن هذه المرة آتى وملامحةُ واضحًة جدًا مما أفزعتني تلك الملامح، صحوتُ كما لو كنتُ في الحقيقة وليس بحلم،

دَخلّت أُختي المُشاكسة غُرفتي إذ بها تراني واقفًة أمام المرآة،

خاطبتني قائلة:

- سَتُصبحين مجنونًة يومًا ما إذا أستمريتِ على هذا الحال، ما هذا التطور تستيقظين وإلى المرآة فورًا، ماذا حل بكِ؟!

ألتفتُ إليها ولم أُجبها،

ثم ذهبتُ إلى غُرفة المعيشة التي في منزلنا، كانت أُمي مُستلقية على الأريكة،

نعم،

لم أُحدثكم عن عائلتي...

لدي عائلة صغيرة جدًا وجميلة،

أُختًا مُشاكسة تَكبُرني بعشر سنوات،

وأُمًا في غاية الجمال

لطالما تَمنيتُ أن آخذ من ملامحها لكنني لم أشبهُها أبدًا

كانت دائمًا تقول أنني ذات ملامح أبي، حتى أنها حين تغضب مني تقوم بِمُناداتي "يا ذات ملامح أبيكِ"،

أبي...!

أين أبي؟!

رُبما لم أتحدث إلا عن أُمي و أُختي ولكن أين أبي!

لا أعلم أين هو،

وكيف وصل بي الحال إلى أنني أتسأل أين أبي؟!

لم تَمُرُ ليلَة إلا وسألتُني أين أبي يا ترى؟!

دائمًا ما أرى أبي في حكايات أُمي وعيناها حين تغضب،

في ضَحِكات أُختي حينما تذكرهُ

في رَجُلًا مُسنٍ صادفتهُ قاطعًا للطريق وساعدتهُ على ذلك

في بطل قصةً حارب كي لا تُسلب ابنته مِنه

في كثير من الأشياء،

رأيتُ أبي لكنه دون ملامح،

أحبت رجلًا لم أراه،

لكنني كُنتُ مُلحه جدًا لمعرفة السبب، في حين أن أُمي ترفض إخباري بذلك،

وفي إحدى الأيام تجرأتْ أُختي وسرّبتَ لي بعض المعلوماتت،

وهي تتحدثُ شعرتُ لوهلة، وكأنها تُخبرني عن أسرار دولة ومن يُفشيها سَيُحكم عليهِ بالإعدام،

وبالرغم من ذلك لم تأتيني بكافة المعلومات،

الأمر أن أبي ذهب ولم يعد منذ ذلك اليوم المشؤوم هكذا أسمتهُ أُختي،

ذهب أبي ولم يتبقَ لي سوى شهرًا واحدًا؛ لتضعني أُمي ويراني،

لم يتبقَ سوى شهرًا واحدًا كي يأُذن في أُذناي،

لم يتبقى منه إلا اسمي الذي قال لأمي بأنه يُريد أن يُسميني إياه، بالرغم أن أمي وضعتني وهو لم يكن حاضرًا آنذاك إلا أنها لبت رغبته في تسميتي بذلك الإسم،

يبدو أن أبي ذهب وتركني إما مواساةً لها أو عقاب، ما زلتُ لا أعلم ما ذلك السبب الذي يستحق بإن يترك زوجته وطفلتيه دونه،

ما السبب الذي يدفع أي أب في هذه الدُنيا بأن يترك منزله، زوجته، أبناءه؟

لم أُصدق أيًا من كُل تلك الترهات والأسباب التي كانت تُخبرني بها أُمي حول سبب ذهابه،

لكن شيئًا ما بداخلي يوحي إلى أنني سأرى هذا الرجل يومًا ما،

مهلًا

كيف سأراه وأنا لا أعرفه، حتى صورةً له لم أجد مع أُمي،

فتشتُ في خِزانتِها لعلي أعثر على واحدةً بالصدفة، لكنني لم أجد أيضًا،

سألتُ أُختي:

- كيف هو أبي؟

هل كان شخصًا طيبًا؟

هل كان حنونًا؟

ماذا يُحب وماذا يكره؟

هل كان جميلًا كأُمي؟

أخبرتني أنها لا تتذكر كل ذلك؛ لأنه ذهب وهي في العاشرة من عمرها، ومر على ذلك سنواتٌ كثيرة،

لم تكن أُختي مهمته كثيرًا حول معرفة أبي وإن كان سيعود أم لا، أيضًا لا أعلم سبب ذلك،

أو ربما لإنها شهدت رحيلهُ وتأثرت بما فيه الكفاية وتبلدت مشاعرها نحوه،

جميع ما أخبرتني به أنها تتذكر بعضًا من ملامحه وما جعلها تتذكر ذلك هو أنني كُلّما كبرتُ وكأنها تراهُ فيّ،

يا الله ...!

إن أبي تركني هنا أمام أُمي وأُختي كذكرى لهم منه، وأنا أتخبط كل يوم لمعرفة لماذا ذهب وعلى أمل أنه سيعود،

وفي جميع الأحوال لم يخرج أبي من ذهني في حين أنني قضيتُ مُعظم أوقات حياتي على هذا الحال مع أمي وأختي إلا أنني بجانب أملي بعودة أبي كان هُناك حلمًا أسعى لتحقيقه، لطالما تمنيتُ أن أصبح من ملائكة الرحمة،

سعيتُ واجتهدت لتحقيق ذلك وها أنا في عامي الأخير لأصبح أحد هؤلاء الملائكة،

صباح يوم تخرجي

وفي صباح يوم تخرجي الذي تمنيتُ دائمًا ألّا يأتي إلا بعودة أبي، ولكنه آتى وأبي لم يعُد بعد،

فرحتي لم تكن مُكتملة على تظاهري بعكس ذلك،

أُمي عيناها تدمعُ فرحًا وفخرًا، وأُختي الابتسامة لم تُفارق شفتاها، وأنا لم أفقد أملي من عودته،

وجهتُ عيناي للحاضرين لعلي أرى شخصًا أحملُ نفس ملامحه سأقول إنه أبي،

ولسوء حظي لم أجد هذا الشخص،

وانتهى هذا الصباح،

واكتمل تخرجي ولم أذق حلاوتهُ بعد،

كانت دائمًا لحظاتي الجميلة لا أستطيع الاستمتاع بها وكان أبي دائمًا هو السبب،

كان شيئًا ما ينقص لحظاتي،

شيئًا مهمًا لا يكتمل إلا به،

لا أستطيع أن ألوم أُمي على ذهابه وفي الوقت ذاته لا أستطيع لومه،

فهناك سبعون عذرًا إحفظت بها لأجله في قلبي،

تمرُ كثيرًا من الأوقات، أسألُني هل من المُفترض أن أحبهُ أم أكرههُ؟

وفي كل مره أخرجُ بها من حِواراتي مع ذاتي بنفس النتيجة، وهي أنني أحبهُ حد الكره وأكرههُ حد الحُب!

لربما الحُب الذي بداخلي له من فطرةِ الإنسان المعهودة،

كيف لأحد ألّا يَحبُ أباه؟

أما عن ذلك الكُره فهو من صُنع يداه، لماذا تركني دونه، لما تركني دون أبي؟

كُنتُ أحمل هذا الحُب الممزوج بكره طفلةً تركها أباها وأكبر أنا وهو معًا ويكبر معنا ذلك الأمل والكثير من الأسئلةِ والعتاب...

صباح يوم توظيفي

في أحد الأيام أصبحتُ رسميًا من أحد ملائكة الرحمة، حيث توظفتُ في إحدى المُستشفيات وكنتُ في بداية الأمر امكثُ في قسم الطوارئ،

تمنيتُ أن أراك على عتبة باب المُستشفى صباح أول يوم دوامًا لي، أن أرى كم أنت فخورًا بي من نظرة عيناك، أن أُقبل رأسك وتَضُمني إلى حُضنك الدفيء، وإن حدث وتدخل رئيس القسم وقال لي هيا أسرعي في الدخول بأول يومًا لك، سأقول له مهلًا دعني أأخذُ بركات يومي هذا،

أن تتمنى لي حظًا سعيدًا ثم أذهب، أن ادعو لي وعيناك تلمعان تمنيتُ الكثير وبِحُزنًا شديد لم يحدث أيًا مما تمنيتهُ،

تزاحمت أيامي بالكثير من الأحداث يومًا بعد يوم، حتى أنني أصبحت لم أفكر في أبي كما كنتُ في السابق، التهيت عنه ولم تُتيح لي الفرص أن أفكر بشيء سوى معالجة المرضى في الطوارئ،

أعود إلى المنزل مُنهكة في غاية التعب لم أستطع أن أُخصص وقتًا لي أو لعائلتي أو لغائبي وتجديد أملي بعودته،

كان الأمر مُرهِقًا وصعبًا بعض الشيء في البداية، لكنه أصبح فيما بعد روتينًا لا يُمل منه، بعد أن أصبحتُ أُجيد تخصيص وقتًا لِكُل شيء،

لم أعد أُرهق نفسي- كما كُنتُ في زوايا المُستشفى، أصبحتُ أُؤدي واجبي على أكمل وجه،

يبدوا أن حماس البدايات دفعني لفعل كلّما كنتُ أفعله،

أعتذر أبي عن انشغالي عنك،

وسارت حياتي على هذا النحو الجيد ليس هُناك ما يُفرحني وفي الوقت ذاته ليس هُناك ما يُحزنني، إلا في تلك الأوقات التي أُصادف فيها مرضى أشعر لوهلة أن أحدًا منهم أبي فأتحقق من إسمه حينها أعلم أنه ليس واحدًا منهم وأن الله يَخلقُ من الشبه أربعين،

كُنتُ أظن دائمًا أنني أنا فقط أشباه أبي الأربعين وأن لا أحد سيشبههُ سواي،

وفي أحد الأيام كانت الطوارئ تَضجُ بالكثير من المرضى، وكان الأمر في غاية الارتباك لأنني لم أعهد يومًا بهذا الازدحام منذ أن دخلت المُستشفى،

لفت انتباهي أحد المرضى عند دخوله، كان رجلًا يكسوا الشيب رأسه، طويل القامة، ولكن جسده هزيل يبدوا أنه أنهكهُ التعب، لكنني كُنتُ مشغولةً بتضميد جروح أحد المرضى،

أكملتُ ما بيدي وذهبتُ مُسرعَّة إلى ذلك الرجل لإطفاء فضولي الذي أشتعل منذ دخوله،

في طريقي إليه إذ بإحدى المُمرضات تُناديني لمُساعدتها، توقف قلب هذا الرجل وبدأت المُمرضة في عملية الإنعاش أتيتُ وتبادلنا الأدوار، كررتُ عملية الإنعاش في توتر ودعاء بإن لا يموت كعادتي للكثير من المرضى في مثل هذه المواقف،

بعد مُحاولات...

عـاد نبضـه، انتظـرت إلى أن أسـتيقظ، سـألته عـن اسـمه وهـل هُنـاك أحدًا من أقربائه متواجدًا هنا،

لكنـه لم يُجبنـي، مكـث مُحـدقًا بعينـاه الـدامعتان فيّ، لم يسـتطع التحـدث وأشار بيده نحو معطفه يبدوا أنه يُريدني أن أرى شيئًا ما،

أخرجـت مـن جيـب معطفـه بطاقـة، أدركـتُ حينهـا بأنـة يُجيـب عـن سؤالي عندما سألته عن اسمه،

مازال الرجل مُحدقًا بي وعيناهُ دامعتان، لماذا؟!

أثـار بي الفضـول، رُبـما يُعـاني مـن شيء، سـألتهُ عـن ذلـك، أومـئ برأسه نفيًا،

انتبهـت أننـي لم أرى الاسـم في البطاقـةِ بعـد، وإذ بي أنظـرُ إلى البطاقة...

أقرأُ الاسم مره، مرتان، ثلاث وأربع...،

يا الله، ما هذا؟!

الإسم يبدوا لي مألوفًا

شعرتُ بِقبضةٌ في صدري وتصاعدت أنفاسي

أمعنتُ النظر في الصورةِ المُرفقة بالبطاقة وبذلك الرجل المُستلقي أمامي،

كيف لي ألا أعرفه؟!

كيف لي ألا أتعرف على الرجل الذي بحثتُ عنه في وجوه المارين لسنواتٍ عدة، وعندما حان الوقت لم أتعرف على أبي،

كان شعورًا لم أستطع وصفه، كان شيئًا أشبهُ بالعودةِ إلى الحياة بعد أن توقف قلبك للحظات،

نعم!

تذكرت، ماذا لو لم يعد أبي بعد أن توقف قلبه؟

ماذا لو لم أتي مُسرعة إليه؟

ماذا لو لم أكنّ مُمرضة في هذا المُستشفى؟

ماذا لو لم يُقدر الله لي أن أرى أبي قبل مماته؟

غُصتُ في بحر أفكاري ودهشتي وذهولي ولم يوقظني إلا صوت الجهاز والمُمرضة

المريض ساءت حالته، خشيتُ أن أفقده في حين أنني حصلتُ عليه،

لا أعلم ماذا أفعل، تلك الطفلة المُختبئة بداخلي أخرجت نفسها وتلك المُمرضة المُجتهدة لم يعد لها وجود،

لطالما كنتُ الفتاة القوية ولكنها بكاءه، فكل قوة تحليتُ بها ضَعِفت، وكل دموعًا داريتُها انكشفت، بكيتُ على أبي أمامه، بكيتُ فرحًا لرؤيته، بكيتُ عتبًا على ذهابه، بكيتُ خوفًا على فقدانه من جديد،

أمسكَ بيدي فطمأنني ذلك بالرغْم أن الخوف تملكني،

لم أستطع سماع صوتهُ حتى، لكن عيناهُ ما زالت مُنهمرة بالدموع،

ناداني بإسمي بصوته ذلك العذب ونبرتهُ التي كأنها أعزوفة موسيقية، كانت أول مرة أسمعُ بها أسمي يُنطق بهذا الشكل، وكانت هذه المرة أجملها وأولها وأخرها،

لم يستطع أن يُخبرني شيء كُلما ما كان باستطاعته هو مُناداته بإسمي، لماذا يا الله لم تمنحني أجوبة لكُل أسئلتي؟

لماذا لم تمنحهُ حتى ساعةً واحدة زيادةً على عُمرهِ كي أتحدث معه؟

لماذا يا الله كسرتني بعد أن جبرتني برؤيته؟

بقيتُ على أمل عودته ولكنه عاد وأخذ أملي وذهب مرة أخرى، لكن هذه المرة بلا عودة،

مات أبي بعد دقائق من رؤيته...

مات غائبي حينما التقيته...

مات رجلي الذي أحببته...

مات من أحمل ذات ملامحه...

مات أملي، مات أبي فمن لي؟

رسالتي الأخير إلى أبي...

لم أجعل لليأس طريقًا يسلكه ليحاوط قلبي ويكف عن البحث عنك والأمل بعودتك، ولكن حين عثرت عليك شاء الله أن يأخذك مني،

ما زلت هنا في زاويةً ما بداخلي أتمنى الكثير من الأشياء لفعلها معك والكثير من الحكاوي لأحكيها لك، والكثير من

المواضيع أريد مشاركتك بها، خبأتها كي أخبرك بها عندما ألقاك كل تلك ستصبح ذكرى مؤلمة، فأملي انتهى عندما أخرجت أخر نفس فيك،

مواساتي أن الله رحيم كما وضعك في قلبي وإصراري لرؤيتك بهذه السنين جميعها، هو أيضًا رحيم بما سيحدث لي بعد موتك،

رحمة الله تغشاك يا أبي وحبيبي.

لم أتعرف على أبي

القصة تدور حول فتاة تعيش مع أمها و أختها و أباها الذي لم تراه منذ ولادتها فتمر بها الايام و السنوات إلى أن تحين تلك الصدمة....

حنين الصليفي

دار أحرفنا المنيرة
للنشر الإلكتروني